ونص البحتري يأتي لإثبات شجاعة الممدوح ويستخدم الأسد كأداة وكوسيلة للبرهنة على هذه الشجاعة. فالأسد في القصيدة عنصر هامشي حضر ومات لغير ما سبب. وكان الأسد عند البحتري مجرد وحش مترف مخدر، والرجل ليس سوى ممدوح شجاع احتاج الشاعر أن يبلغنا بشجاعته، فهو يقتل الأسد لكي يعرفنا على إقدامه وشجاعته. ولقد جاءت هذه المعركة في وسط قصيدة تقليدية مطلعها الغزل ونهايتها المديح وغايتها التكسب.

أما نص بشر فقد انطوى على شخصية سردية لها وجود معنوي ودلالة وظيفية في النص. وجاء الليث عند بشر بوصفه شخصية ذات نبل وكرم وحرية، حتى إن دماءه صارت للشعر ومداداً له.

إن حرية داذا وكرامة دمائه لا تجد مقابلها عند أسد البحتري سوى بهيمية حيوانية مهدرة. ولذا تفكك نص البحتري من داخله حيث وقع في اضطراب دلالي أحس به الشاعر وحاول أن يعالجه، فوقع في تناقض سلبي أسقط النص وفضح عيبه ـ كما رأينا من قبل في الفصل الرابع ـ.

هنا نكون على مشهد من نصين يدل التشابه بينهما على حضور واع لأحدهما أمام الآخر، وهو وعي لا يشترك فيه نص المتنبي عن الأسد مع نص بشر بن عوانة، إذ ليس هناك تشابه ظاهر بينهما مثل ما هو بين بشر والبحتري. وهذا يحصر المعركة بين مقامة بديع الزمان ونص البحتري. وهذان نصان يتشابهان، وكقاعدة نصوصية لا بدّ للمتشابهين من أن يقضي ـ ويلغي ـ أحدهما الآخر مثلما فعل الأمرد مع أبيه، ومثلما فعل أحد الأسدين أو الضرغامين ضد الأسد الآخر